تنزيه الأخبار
عن دسائس كعب الأحبار

ابن محمود العاملي

سنقفُ في هذا البحث على المطالب التالية:

١ ـ لا خلاف في سوء حال كعب الأحبار وفساد مقاله عند الطائفة الحقَّة، ممَّا يجعل دعوى دسِّه الروايات في تراثنا أشبه بالخرافة!!

٢ ـ لا وجود له في أسانيد روايات الكتب الأربعة، التي تشكل البُنيةَ الرِّوائيَّة لمذهب التشيُّع، مما يكشف عن سفاهة دعوى كثرةِ دسِّه في تراثنا الرِّوائي!!

٣ ـ معاملةُ علماء الطائفة له ـ في الرواية ـ معاملتَهم أبا هريرة وأضرابه، من حيثُ ندرة الرِّواية عنه، وقَصْرُها على ما فيه إلزام الخصم، أو ما يوثَقُ بمتنه.

٤ ـ من المستحيل عقلاً تصورُ كثرةِ الدسِّ في تراثنا الرِّوائي من قِبَل كعب الأحبار الذي مات في إمارة عثمان بن عفان[1]، فتكون دعوى الدسِّ المذكورة أشبه بالطُّرفة والفكاهة.

٥ ـ نسبةُ عدد مرويَّاته ـ التي بيَّنا حالها ـ في كتبنا لا تكاد تبلغ واحداً في العشرة آلاف، بل هي أقل من ذلك جزماً، مما يجعل وصفها بالقلَّة كثيراً في حقِّها! فكيف بمن يصفها بالكثرة؟! وما عشتَ أراكَ الدَّهرُ عجبا!!!

وبعد وقوفك على هذه الحقائق والوثائق، ستتساءلُ مندهشاً: كيف يليق بعاقلٍ، فضلاً عمَّن يُعدُّ في العلماء، أن يقول: **أنا أدَّعي كثيراً من التراث الرِّوائيِّ الشيعيِّ منقولٌ مدسوسٌ عن النصرانية واليهودية والمجوسية؟!!**

والأعجب أن ترى بعضهم يطبِّلُ لهُ ويزمِّر**!!** ولكنَّ الطيور على أشكالها تقعُ.

بسم الله الرحمن الرحيم

الذي علَّم بالقلم، علَّمَ الإنسانَ ما لا يعلم، وأكملُ الصَّلاة وأتمُّ السلام على خير العرب والعجم، محمد المصطفى وعلي المرتضى وآلهما، سادةِ العبادِ وساسةِ الأمَم، واللعنُ الدَّائمُ على أعدائهم من الأولين والآخرين لعناً يدومُ بدوامِ النِّعَم..

المدخل

لقد حفلَ تاريخنا الإسلامي ـ كما هو الحال في غيره من التواريخ ـ بالشَّخصيات التي أثارت الجدل منذُ عصر النبيِّ محمد ﷺ وإلى يومنا هذا.

وتعرَّض كثيرون لتلك الشَّخصيات في كتب التَّراجم وغيرها، بل صنَّفَ بعضُهُم تصانيفَ مختصَّةً بدراسة بعضها.

ولسنا في صدد إحصاء عدد هؤلاء، أو سرد أسماء من تعرَّضَ لهم، أو دراسةِ أحوالهم وتحقيق الحال فيهم.

وإنَّما أعددنا هذا المقال لتسليط الضَّوء على زاويةٍ من زوايا شخصيَّة كعب الأحبار الحِمْيَري، وهي بيانُ حاله وحال رواياته عند علماء الطَّائفةِ الحقَّة، لنثبتَ للقارئ الكريم أنَّ ما اتُّهِمَ به كعبٌ من **كونه قد دَسَّ كثيراً من الروايات اليهودية والنصرانية والمجوسية في تراثنا الرِّوائي** إنما هي فريةٌ باليةٌ وتهمة واهية[٢]، لا يخفى

زيفُها على أهل العلم والتَّتبُّع.

ولئِنْ كان صاحبُ الدَّعوى مطالَباً بإبراز الدليلِ الذي يصدِّقُ دعواه، فإنَّنا لن نطالب صاحبَ هذه الدَّعوى بإبراز دليله عليها! لأنَّ التكليفَ بغير المقدور قبيحٌ عقلاً!!

علماً بأنَّ دعوى الدسِّ لا يمكنُ قبولُها أو توجيهُهَا بأيِّ شكلٍ من الأشكال، سواءٌ وجَّهوا تُهمةَ الدسِّ إلى كعبٍ أم إلى غيره، وذلك لمنهجية علماء الطَّائفة المتَّبعة في حفظهم لتراثهم الرِّوائي الواصل إليهم عن النبي وأهل بيته (صلواتُ اللهِ عليهم أجمعين).

ولمَّا كان البحث مقصوراً على معالجة تهمة كعب الأحبار بالدسِّ فنكتفي بنقل عبارةٍ لشيخ الطَّائفة وزعيمها الشيخ الطُّوسي (رضوانُ اللهِ عليه) فيها الكفاية وحصول الغاية، وستتعرض في أواخر البحث لتلك المنهجية.

قال (طيَّبَ الله رمسه): (**فإني وجدتها [أي الفرقة المحقَّة أعلى الله كلمتها] مجمعةً على العمل بهذه الأخبار، التي روَوها في تصانيفهم، ودوَّنوها في أصولهم، لا يتناكرون ذلك ولا يتدافعونه، حتى أنَّ واحداً منهم إذا أفتى بشيءٍ لا يعرفونه سألوه من أين قلت هذا؟ فإذا أحالهم على كتاب معروف، أو أصل مشهور، وكان راويه ثقةً لا يُنكر حديثُهُ سكتوا، وسلَّموا الأمر في ذلك وقبلوا قولَهُ.**

وهذه عادتهم وسجيتهم من عهد النبي صلى الله عليه وآله ومَنْ بعده من الأئمة (عليهم سلام)، ومن زمن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام الذي انتشر العلم عنه وكثرت الرواية من جهته)[٣].

هيكليّةُ البحث:

وزَّعنا البحثَ على المحاور التالية:



الأول: كعبُ الأحبار عند المعصومِ عليه السلام.

الثاني: كعبُ الأحبار عند الصَّحابة.

الثالث: كعبُ الأحبار عند فقهاء الطَّائفة الحقَّة.

الرَّابع: مرويَّاتُ كعب الأحبار في تراثنا الرِّوائي.

الخامس: دعوى الدَّسِّ في الميزان.

الخاتمة.

تمهيد:

اعلم أنَّ كعب الأحبار عند الشِّيعة فاسدُ الدِّين والعقيدة، كذَّابٌ، مذمومٌ، مفترٍ، لا يُعِيرونَ لمرويَّاتِهِ اهتماماً، ولا ينقلونَ منها شيئاً إلا من باب (والفضلُ ما شهدت به الأعداءُ)، بل لا يرتضونَ إسلامَهُ لما ثبتَ من تاريخه الأسود الإسرائيلي[٤]!! وقد شاركهم في عقيدتهم هذه بعض علماء المخالفين، الذين كتبوا بحوثاً مستقلَّةً بيَّنوا فيها إسرائيليَّة منهج كعب الأحبار وخطره على الإسلام.

ومَن كان هذا حالُهُ عندنا فلن تجِدَ لمرويَّاته في تراثِنا أثراً، إلا كآثار أبي هريرة وغيره، ممَّن اشتهرَ حالُ كذبهم وسقوط إخباراتهم عن الاعتبار، فيكونُ التعرُّض لذكرِها من باب الاحتجاج عليهم وإلزام الخصم بما ألزم به نفسَه، أو من باب التسامح في نقل ما يُطمأنُّ بسلامة متنه ـ لاحتفافِهِ بقرائنَ واعتضادِهِ بمؤيِّدات ـ وإنْ وهى سندُه، ومع ذلك فهو قليلٌ كالنادر.

وقد دلَّنا على فسادِ عقيدة كعب الأحبار وكذب مرويَّاته، الصحيحُ من الأخبار، والصَّريح من الآثار، مضافاً لكونه بمجرد إظهاره الإسلام في عهد إمارةِ عمر بن الخطَّاب أصبح مستشاره الخاص، ومرجعه في الفتيا والدين!! ثمَّ بعد ذلك كان من مستشاري عثمان بن عفَّان، وكان عوناً لهما على أمير المؤمنين علي[٥] عليه السلام.

منهجيّةُ المعصوم عليه السلام مع أهل الريب:

حرصَ النبيُّ وأهلُ بيته (صلواتُ الله عليهم اجمعين) على كشفِ هويَّةِ أهل الريب والضلالة، تصريحاً أو كنايةً، تخصيصاً أو تعميماً، صيانةً لدين العباد من الاغترار بأهل الفساد.

وتتبُّعُ موارد هذه المنهجيَّةِ يستدعي تأليفاً مستقلّاً، لكثرةِ المنافقين والمبتدعين، الذين مزجوا الحقَّ بالباطل والهدى بالضلال، فكاد أن يخفى حالُهم وينالَ المؤمنين ضلالُهم، لولا تدخُّلُ المعصوم عليه السلام بكشف النقاب وإرشاد المؤمنين إلى درب الصواب، مستخدماً شتَّى أساليب التعبير التي وصلت إلى حدِّ التَّصريح بلعنِ بعضهم ولعنِ أتباعه، حسب خفاء حالهم وشدَّةِ ضلالِهم، فلم يتركْ لمعتذرٍ عذرا.

ومن تلك الفئةِ أبو الخطَّاب (لعنه الله)، وهو محمدُ ابنُ أبي زينب، كان مستقيمَ الأمر أولاً، وقد عملت الطَّائفةُ برواياته أيامَ استقامته[٦]، ثمَّ ساءت خاتمتُه[٧]، فابتدع في الدين، وأكثر من الكذب على أبي عبدالله الصادق عليه السلام، وقال بالتناسخ[٨]، وصار له اتباعٌ عُرفوا بالخطَّابية[٩].

لذلك ترى روايات ذمِّهِ والطعنِ فيه ولعنِهِ قد تضافرت وتكاثرت، وقد جمع منها صاحبُ تنقيح المقال العلَّامةُ المامقاني (رضوانُ الله عليه) أكثر من ثلاثين حديثاً[١٠].

فانتهت فتنتُهُ، وماتت بدعتُهُ، فلا ترى لهم من باقية، وذلك بفضلِ تصدِّي حجَّة الله ووليِّه عليه السلام لكشف حقيقةِ أبي الخطَّاب والحيلولةِ دون اغترار العباد به.

وهذا شاهدٌ من شواهدَ جمَّة، تعكس صورةَ اهتمام المعصومِ عليه السلام واهتمام أصحابه بكشفِ حال كلِّ مبتدعٍ لا يُؤمَنُ اغترارُ الناس به، لحُسنِ حاله سابقاً، أو لِعَمَلِ الإعلام الظالمِ على تلميعِ صورته، وما كعبُ الأحبار إلا واحداً من تلك الفئة الضالَّة المُضلَّة.

وسنكتفي بنقلِ ما وردَ عن الأئمة (عليهم السلام) وكبار الصَّحابة في تكذيب كعب الأحبار والطعن في دينه، مضافاً لبعض كلمات أعاظم فقهائنا في حقِّه، تصديقاً لما قلناه، وتحقيقاً لما رمناه، فنقول:

المحور الأول: كعبُ الأحبار عند المعصومِ عليه السلام

والذي وصل إلينا ممَّا روي عن أهل آية التطهير (صلواتُ الله عليهم) في حقِّ كعبِ الأحبار صريحٌ في كذبِ لسانه، وعدم إيمانه، ممَّا يجعلُهُ مفضوحاً أمرُهُ، مكشوفاً سترُهُ، فلا يلتبسُ حالهُ على رواتنا، ليحصلَ الدسُّ منه في رواياتنا، كما قد يتوهَّمُهُ جاهلٌ، أو يدَّعيه مُمَاحل.

أمير المؤمنين عليٌّ (صلوات الله عليه) يصِفُهُ بالكذَّاب:

أوَّلُ من وصف كعب الأحبار بالكذَّاب هو أميرُ المؤمنين عليه السلام؛ قال ابنُ أبي الحديد: [روى جماعةٌ من أهل السِّيَر: أنّ علياً عليه السلام كان يقول عن كعب الأحبار: **"إنَّه الكذَّاب"**.

وكان كعبُ منحرفاً عن علي عليه السلام][11].

تأييدُ نقل ابن أبي الحديد:

أقول: ويشهد لما رواه ابنُ أبي الحديد ما رُويَ عن ابن عباس، قال: سألتُ علياً عليه السلام عن معنى قوله تعالى: {رُدُّوها عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحاً بِالسُّوقِ والأَعْناقِ}؟

فقال: **"ما بلغَكَ فيها يا ابن عباس"**؟

قلت: سمعت كعباً يقول: اشتغل سليمانُ بعرض الأفراس حتى فاتته الصلاة، فقال: {ردُّوها عليَّ} يعني الأفراس، وكانت أربعة عشر فرساً، فضربَ سُوقَها وأعناقَها بالسيف، فقتلها، فسلبه الله ملكَهُ أربعةَ عشَرَ يوماً، لأنَّه ظلَمَ الخيلَ بقتلها.

فقال عليٌّ عليه السلام: "كذبَ كعبٌ، لكنْ اشتغَلَ سليمانُ بِعَرْض الأفراس ذات يوم، لأنَّه أرادَ جهادَ العدو، حتَّى توارت الشَّمس بالحجاب، فقال ـ بأمر الله تعالى ـ للملائكة الموكلين بالشمس: {ردُّوها عليَّ} فرُدَّت، فصلَّى العصرَ في وقتها. وإنَّ أنبياءَ الله لا يظلِمونَ، ولا يأمرون بالظُّلم، لأنَّهم معصومون مطهَّرون"(١٢).

فائدةٌ صدوقيَّة:

قال الشَّيخُ الصَّدوقُ (رضوانُ الله عليه): إنَّ الجُهَّال من أهل الخلاف يزعُمُون: أنَّ سليمان عليه السلام اشتغل ذات يوم بعرض الخيل حتى توارت الشمس بالحجاب، ثمَّ أمر برَدِّ الخيل، وأمر بضرب سُوقها وأعناقها، وقتلها، وقال: إنَّها شغلتني عن ذِكْر ربِّي!!

وليس كما يقولون!! جلَّ نبيُّ الله سليمان عليه السلام عن مثل هذا الفعل، لأنَّه لم يكن للخيل ذنبٌ فيضرب سوقها وأعناقها، لأنَّها لم تعرضْ نفسها عليه، ولم تشغله! وإنَّما عُرِضت عليه، وهي بهائم غير مُكلَّفة!!

والصحيح في ذلك: ما روي عن الصادق عليه السلام أنه قال: **"إنَّ سليمان بن داود عليه السلام عُرِضَ عليه ذات يومٍ بالعشيِّ الخيلُ، فاشتغل بالنَّظرِ إليها، حتَّى توارت الشَّمسُ بالحجاب.**

فقال للملائكة: ردُّوا الشَّمسَ عليَّ حتَّى أصليَ صلاتي في وقتها، فرَدُّوها، فقامَ فمَسَحَ ساقَيْهِ وعنُقَهُ، وأمرَ أصحابَهُ الذين فاتتهم الصلاةُ معه بمثل ذلك، وكان ذلك وضوءَهم للصَّلاة.

ثمَّ قام فصلى، فلمَّا فرغ غابت الشَّمسُ، وطلعت النُّجوم: وذلك قول الله عزَّ وجلَّ:

{ووَهَبْنا لِداوُدَ سُلَيْمانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّه أَوَّابٌ إِذْ عُرِضَ عَلَيْه بِالْعَشِيِّ الصَّافِناتُ الجِيادُ فَقالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوارَتْ بِالْحِجابِ رُدُّوها عَلَيَّ

فَطَفِقَ مَسْحاً بِالسُّوقِ والأَعْناقِ} "[١٣].

فائدةٌ لُغَويَّة:

قال الرَّاغبُ الاصفهاني: (العشيُّ) من زوال الشمس إلى الصباح، والعشاء من صلاة المغرب إلى العتمة[١٤].

الإمامُ الباقر عليه السلام يكذِّبُهُ:

روى فخرُ الطائفة ثقةُ الإسلام الكليني رحمه الله بإسناده عن أجلّاء الثِّقات والمحدِّثين، حديثَ تكذيبِ الإمام الباقر عليه السلام لكعبِ الأحبار، وتفصيل الحديث:

عليُّ بنُ إبراهيم، عن أبيه؛ ومحمدُ بنُ إسماعيل، عن الفضل بن شاذان، جميعاً عن ابنِ أبي عُمَير، عن عمر بن أُذَينة، عَنْ زُرَارَةَ قَالَ: كُنْتُ قَاعِداً إِلَى جَنْبِ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام وهُوَ مُحْتَبٍ [الاحتباء: ضمُّ الركبتين إلى الصدر]، مُسْتَقْبِلُ الْكَعْبَةِ، فَقَالَ: "**أَمَا إِنَّ النَّظَرَ إِلَيْهَا عِبَادَةٌ**".

فَجَاءَه رَجُلٌ مِنْ بَجِيلَةَ ـ يُقَالُ لَه عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ ـ فَقَالَ لأَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام : إِنَّ كَعْبَ الأَحْبَارِ كَانَ يَقُولُ: إِنَّ الْكَعْبَةَ تَسْجُدُ لِبَيْتِ الْمَقْدِسِ فِي كُلِّ غَدَاةٍ!!

فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام : "**فَمَا تَقُولُ فِيمَا قَالَ كَعْبٌ؟!**"..

فَقَالَ: صَدَقَ، الْقَوْلُ مَا قَالَ كَعْبٌ.

فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام : "**كَذَبْتَ! وكَذَبَ كَعْبُ الأَحْبَارِ مَعَكَ**"، وغَضِبَ.

قَالَ زُرَارَةُ: مَا رَأَيْتُه اسْتَقْبَلَ أَحَداً بِقَوْلِ: "**كَذَبْتَ**" غَيْرَه...الحديث[١٥].

ولا يخفى أن التعبير بـ [كذب كعبٌ] صريحٌ في كونِهِ كاذباً عند إمامنا الباقر عليه السلام ، وإلا لقال: أخطأ كعب، أو: هذا كذبٌ، ليحتمل أن يكون الخبر كذباً، وإن لم يكن المخبر قاصداً للكذب، وغيرها من أساليب التعبير.



فاختيارهم هذا التعبير دون غيره صريحٌ في إرادتهم كشفَ هويةِ كعبٍّ، وإسقاط أخباره عن الاعتبار.

وكذلك الحال في عبارات تكذيب كعبٍ الآتية على لسان الصحابة، وقد حاول بعض علماء العامة تخفيف شدة التعبير، فزعم أنَّ المراد بكذب كعبٍ خطأُه واشتباهُهُ، وهو خلطٌ بين تكذيب الخبر وتكذيب المخْبِر، فيا للحُبِّ كيف يُعمي ويُصِمُّ؟!!

فمعنى الكاذبِ في اللغةِ جليٌ لا إبهام فيه، ولا اشتراك في لفظه، وهو الذي يخبرُ بخلافِ الواقع قاصداً متعمِّداً، وإلا سمَّوهُ مشتبهاً ومخطئاً ومتوهِّماً ونحوها من الألفاظ الدالَّة على الخطأ في الإخبار، وشاهدُ ذلك التَّبادر.

وأمَّا استعمالاً فلم نعثر في القرآن ولا في السُّنَّة النبويَّة ولا في استعمالات المتشرِّعة وغيرهم ما يفيد إرادة المخطئ من لفظ الكاذب!!

ثمَّ لو سلَّمنا بما زعموه، ألم يسألوا أنفسهم: لماذا عَدَلَ أمير المؤمنين عليه السلام والصحابة ـ الذين سنوافيك بأخبارهم ـ عن التعبير بـ (أخطأ كعب) إلى "كذب كعب"؟!

ويمكرون...

المحور الثاني: كعبُ الأحبار عند الصَّحابة:

لقد كان موقفُ كبار الصَّحابةِ وأجلَّائهم كموقفِ سيِّدهم أمير المؤمنين عليه السلام، حيثُ كانوا يسارعون إلى فضحِ كذبِ كعب الأحبار، وكشفِ هويَّته، كلَّما أُتيحت لهم الفرصةُ وفُسِحَ أمامَهم المجال.

والنَّماذج التي سنستعرِضُها توضِّحُ موقفهم، رغمَ تفاوتِ مكاناتهم الاجتماعية، واختلافِ مواقفِهِم السياسية.

أبو ذر الغفاري (رضوان الله عليه) يفضحُ هويَّتَهُ اليهوديَّة:

ومقامُ سيِّدنا أبي ذر (رضوانُ الله عليه) ومكانتُهُ وعلوُّ شأنِهِ أشهر من نارٍ على علم، ويكفيه ما رواهُ المؤالفُ والمخالفُ من قول النبي ﷺ فيه: **"ما أظلَّت الخضراءُ ولا أقلَّت الغَبراءُ على ذي لهجةٍ أصدق من أبي ذَرٍّ"**(١٦).

روى جمعٌ من المؤرِّخين خبرَ اعتراض أبي ذر (رضوان الله عليه) على عثمان وسياسته، وكان ذلك بحضور كعب الأحبار مستشار عثمان، فقال كعب لأبي ذر: ألا تتقي الله يا شيخ، تجيب أمير المؤمنين بهذا الكلام؟!

فرفع أبو ذر عصا كانت في يده، فَضَربَ بها رأسَ كعبٍ، ثم قال له: **[يا ابن اليهوديّين!! ما كلامُك مع المسلمين؟! فوالله ما خرجت اليهوديَّةُ من قلبك بعدُ]**(١٧).

تعقيبٌ قشيب:

قال صاحبُ رائعةِ التَّصانيف في القرن العشرين (الغدير)، ذو البيان المصقع، واليراع المبدع، الذي أثنى على كتابه المؤالفُ والمخالف ـ تعقيباً على رواية أبي ذر الغفاري (رضوانُ الله عليه) الآنفةِ الذِّكر ـ:

[فنداءُ أبي ذر ـ في موقفه هذا ـ نداءُ القرآن الكريم، ونداء المشرِّع الأعظم، ونداء تابعيهما من الصَّحابة والتابعين.

ولا يردُّ ذلكَ إلا مثلُ كعب الأحبار، الذي هو حديثُ عهدٍ باليهوديَّة، وقد اعتنق الاسلام أمسِ، على حين إنه لم يُسْلم طيلةَ عهد النبوَّة!! وإنما سالَمَ على عهد عمر.

ولا أدري! هل حَدَتْه إلى ذلك الحقيقة؟ أو الفَرَقُ من بطش المسلمين وشوكتهم؟ أو الطَّمعُ في العطاء الجاري؟



ولا أدري أيضاً! أنَّه ـ في مدة إسلامه القصيرة ـ هل أحاط خبراً بنواميس الاسلام وفروضه وسُنَنِهِ أو لا؟ ولا أحسبُ!! كما أوعز إليه أبو ذر الناظرُ إليه من كَثَب، حيث قال له: **يا ابن اليهوديَّة! ما أنتَ؟ وما هاهنا؟**

وكان من حقِّهِ أن يؤدَّبَ بالمِحْجَن، كما فعله سيِّدُ غِفَار، ساء الخليفةَ أم سرَّه!! لأنَّه لم يكن أهلاً للفتيا، فأفتى تِجاهَ عالمٍ من علماء الصحابة الذي مِلأُ إهابِهِ العلمُ بالكتاب والسُّنَّة، وحَشوُ ردائِهِ الفروضُ والسُّنَن، ولا يُفرغُ إلا عن رسول الله ﷺ، وما أظلَّت الخضراءُ وما أقلَّت الغبراءُ من ذي لهجةٍ أصدقَ وأوفى من أبي ذر][18] .

عبد الله بن عباس يكذِّبُهُ ويطعنُ في دينه ويشتمُهُ:

روى الطَّبري (من علماء القرن الثالث الهجري) بإسناده، عن عكرمة، قال: بينا ابنُ عباس ذات يوم جالسٌ، إذ جاءه رجُلٌ، فقال: يا ابن عباس! سمعتُ العجبَ من كعب الحبر، يذكُرُ في الشمس و القمر!!

قال: وكان متَّكئاً، فاحتفز، ثمَّ قال: وما ذاك؟

قال: زعم أنَّه يُجاءُ بالشمس والقمر يوم القيامة، كأنَّهما ثوران عقيران، فيُقذفان في جهنَّم!

قال عكرمة: فطارت من ابن عباس شفةٌ، ووقعت أخرى غضباً، ثمَّ قال: **كذبَ كعبٌ، كذبَ كعبٌ، كذبَ كعبٌ** ـ ثلاث مرات ـ **بل هذه يهوديَّةٌ، يريد ادخالها في الإسلام!!** الله أجلُّ وأكرمُ من أن يعذِّبَ على طاعته، ألم تسمع قول الله تبارك وتعالى: {وسخَّرَ لكم الشَّمسَ والقمرَ دائبَين} ؟!

إنَّما يعني دَؤُوبَهُما في الطاعة، فكيف يعذِّبُ عبدَينِ يُثني عليهما أنَّهما دائبان في طاعته؟!!

قاتل الله هذا الحبر! وقبَّحَ حبريَّتَه! ما أجرأهُ على الله، وأعظمَ فريتهُ على هذين

العبدين المطيعين لله؟!!

قال: ثم استرجع مراراً، وأخذ عُوَيداً من الأرض، فجَعَلَ ينكتُهُ في الأرض، فظل كذلك ما شاء الله...الحديث(١٩).

أقول: فانظر إلى قوله ثلاثاً: [كذب كعب]، وقوله: [بل هذه يهوديَّةٌ، يريد ادخالها في الإسلام]، وقوله: [قاتل الله هذا الحبر! وقبَّح حبريَّته]، وقوله: [ما أجرأهُ على الله، وأعظمَ فريتهُ..]، لترى أنَّ كعباً عند هؤلاء كان متَّهماً في دينه فضلاً عن روايته!!

الصَّحابيُّ الجليل حذيفة بنُ اليمان يكذِّبُهُ:

وحذيفةُ بنُ اليمان (رضوانُ الله عليه) ذاكَ الصَّحابيُّ الجليل والثِّقةُ الأمين، والمعدودُ في خواصِّ أمير المؤمنين عليه السلام، وقد كانَ النبي صلى الله عليه وآله أسرَّ إليه بأسماء المنافقين من صحابته! ممَّا يدلِّلُ على رسوخ إيمانه وسلامة قلبه بحيثُ صار مستودعاً لأخطر الأسرار!!

قال ابنُ حَجَر(٢٠): وأخرجَ ابنُ أبي خثيمة بسندٍ حسنٍ، عن قتادة، قال: بلَغَ حُذيفةَ أنَّ كعباً يقول: إنَّ السماءَ تدورُ على قطبٍ كالرَّحى.

فقال: **كذبَ كعبٌ!!** إنَّ الله يقول: {**إنَّ اللهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ والأرضَ أنْ تَزُولا**}(٢١).

عبد الله بن مسعود يكذِّبُهُ، ويطعنُ في دينه:

عن مغيرة، عن إبراهيم، قال: جاء رجلٌ من أصحاب ابن مسعود إلى كعب الأحبار، يتعلم منه العلم، فلمَّا رجع، قال له ابن مسعود: ما الذي أصبتَ من كعب؟

قال: سمعتُ كعباً يقول: إنَّ السماءَ تدورُ على قطبٍ مثلَ قطب الرحا، في عَمودٍ على منكب ملك!

فقال له عبد الله: **وددتُّ أنَّك انقلبتَ براحلتِكَ ورحْلِها! كذب كعبٌ! ما ترك يهوديَّته!**

إنَّ الله تعالى يقول: {**إن الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا**}، إنَّ السماوات لا تدور، ولو كانت تدور لكانت قد زالت(٢٢).

المحورُ الثالث: كعبُ الأحبار عند علمائنا (أعزَّهم الله):

لا يخفى على المتتبِّع لكُتُبِ فقهاءِ الطَّائفة (أعزَّهم الله تعالى) أنَّهم لم يعتدُّوا بكعب الأحبار ولا برواياته، وتعاملوا معه كما يتعاملونَ مع أبي هريرة ووهب بن منبه وأضرابهما ممَّن اشتهروا بكذبهم على الله ورسوله صلى الله عليه وآله.

وأهملوا ذكره في مصنَّفاتهم الرِّجاليَّة، وذلك لوضوح حاله وظهورِ فسادِ عقيدته، وانحرافِهِ عن أمير المؤمنين عليه السلام واشتهار كذبه وموضوعاته، وكثرةِ إسرائيليَّاته التي دسَّها في كتب المخالفين.

وتراهم إنْ تعرَّضوا لذكره فيتعرَّضون له بالطَّعن، وننقلُ بعض النماذج من تعرُّضهم له وتعريضاتهم به.

صدوقُ الطَّائفة الشيخ الصدوقُ (رضوانُ اللهِ عليه):

قال الصَّدوق رحمه الله عندَ الحديث عن الإمام الخاتم (أرواحنا فداه): [..فلم لا يقع التَّصديق بأمر القائم عليه السلام أيضاً من طريق السمع؟ وكيف يصدِّقون ما يَرِدُ من الأخبار عن وهب بن المنبه، وعن كعب الأحبار، في المحالات التي لا يصحُ شيءٌ منها في قول الرسول صلى الله عليه وآله، ولا في موجب العقول؟ ولا يصدِّقون بما يرد عن النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام في القائم وغيبته وظهوره؟!..](٢٣).

ومفاد كلام الصدوق (رضوانُ اللهِ عليه) كونُ كعبٍ من الكذَّابين الذينَ اكثروا

وأفرطوا في اكاذيبهم بحيثُ زعموا المحالات، كما يفيد بأنَّ غيرَنا كانوا ياخذون دينهم منه ومن أضرابه.

محمَّد بن جرير الطبري رحمه الله:

قال رحمه الله طاعناً في رواةِ المخالفين: [ومن رواتكم: كعب الأحبار! الذي قام إليه أبو ذر، بين يدي عثمان، فضرب رأسه بمحجَنِهِ، وقال له: يا بن اليهودية!! متى كان مثلُك يتكلم بالدين؟! فوالله ما خرجَتِ اليهوديَّةُ من قلبك][٢٤].

أبو الفتح الكراجكي (رضوانُ الله عليه):

هو القاضي أبو الفتح محمد بن علي بن عثمان الكراجكي، من أجلَّة علمائنا الفقهاء والمتكلِّمين، تلميذ شيخَي الطَّائفة المفيد والطوسي (رضوانُ الله عليهما)، توفِّي سنة ٤٤٩ هجرية[٢٥].

قال متعجِّباً من أغلاط المخالفين: (ومن عجيب أمرهم، وظاهر عنادهم: أنَّهم يرَوْنَ وجوبَ العملِ بأخبارِ الآحاد، فإذا أورد إليهم خبرٌ عن أحَدِ العترة الأبرار، والأئمَّة الأطهار، أهلِ بيتِ النُّبوَّة، ومعدن العلم والحكمة، صلوات الله عليهم أجمعين، لم يُصغوا إليه، ويَدَعوا المعقول عليه، وكان عندهم دونَ أخبار الآحاد رتبةً، وأقلَّ منها درجةً.

ويختارون عليه أخبارَ أبي هريرةَ الذي قال له النبيُّ صلى الله عليه وآله: **"إنَّ فيكَ لشعبةً من الكُفْر"**[٢٦].

[وعدَّ جملةً منهم، إلى أن قال]:

وأخبارَ كعب الأحبار! الذي قام إليه أبو ذر رحمه الله، فضربَهُ بين يدي عثمان على رأسه بالمحجنَةِ، فشجَّهُ، وقال: يا ابن اليهوديَّةِ، متى كان مثلُكَ يتكلَّمُ في الدِّين؟! فوالله ما خرجَتِ اليهوديَّةُ من قلبك!!)[٢٧].

الشيخ البهائي رحمه الله يهجو كعباً:

فقد قال ـ في رائيَّتِهِ المشهورة ـ مخاطباً صاحب العصر (أرواحنا فداه):

ويا من مقاليد الزمان بكفه ... وناهيكَ من مجدٍ بهِ خصَّهُ الباري

أغث حوزةَ الإيمان واعمُرْ ربوعَهُ ... فلم يبق منها غير دارسِ آثارِ

وأنقذ كتابَ الله من يد عصبةٍ ... عصوا وتمادَوا في عُتوٍّ وإصرارِ

يحيدون عن آياته لروايةٍ رواها أبو شعيونَ عن كعبِ الاحبارِ

والقصيدةُ طويلةٌ، اخذنا منها موضع الحاجة(٢٨).

كعب الأحبار في كتب الرِّجال:

لم يتعرَّض معظمُ علماء الإماميَّة في مصنَّفاتهم الرجاليَّة لترجمة كعب الأحبار، وذلك لوضوحِ فساد حاله ودينه وروايته، مضافاً لعدم وقوعه في سندِ شيءٍ من رواياتنا كما ستقِفُ عليه قريباً.

نعم، لما ذكر بعضُ علمائنا في مصنَّفاتهم رواياتٍ عامِّيَّة عن كعب الأحبار ـ في مقام الإلزام، أو التسامح كما أشرنا ـ ترجمَ له بعضُ علماء الرجال من أصحابنا ترجمةً مختصرةً، مقصورةً على ذمِّه وقدحِه(٢٩).

المحور الرابع: مروياتُ كعب الأحبار في تراثنا الرِّوائي:

إنَّ مرويَّات كعب في تراثنا الرِّوائيِّ تتصفُ بأوصافٍ أربعة:

الأول: خلوُّ عمدةِ كتبنا الرِّوائيَّة ـ وهي الأصولُ ونحوها التي اعتمدت عليها الكتب الأربعة ـ من روايات كعب، فلن تعثرَ فيها ولو على رواية واحدة له.

الثاني: رواياتُهُ في بقيَّةِ كتُبِنا تكادُ تُعدُّ على الأصابع لنُدرتِها، بحيثُ لو أردنا مقابلتها بتراثنا الرِّوائيِّ لكانت كالعدم، إذ إنَّ نسبتها لا تبلغ الواحد من عشرة آلاف!!

وخذ مثالاً لذلك كتاب جامع أحاديث الشيعة، لمؤلِّفه السيد البروجردي (رضوانُ الله عليه)، فقد جمع فيها ما يقارب سبعين ألفاً من تراثنا الرِّوائي، والمروي فيها عن كعب الأحبار أربعُ روايات لا غير!!

الثالث: كون جميع مروياته منتهيةً به، فلا تجد له روايةً واحدةً عن المعصوم عليه السلام، ممَّا يسلبُ مرويَّاتِهِ أيةَ قيمةٍ اعتباريَّةٍ، لعدم حجيَّةِ قولِ أوفعلِ أوتقريرِ غير المعصومِ عندنا، أو ما كان مرجعُهُ إلى المعصوم عليه السلام، مضافاً لكونه كذَّاباً كما عرفت.

الرابع: كونها ملزمةً للخصم أو سليمة المضمون.

ولنستعرض بعض تلك الروايات تأكيداً على ما ذكرناه، وتحقيقاً لما وصفناها به، فنقول:

روى الشيخ الصدوق (رضوانُ الله عليه) بإسناده، عن عمر ابن حفص، عن زياد بن المنذر، عن سالم بن أبي جعدة، قال: سمعت كعب الأحبار يقول: إنَّ في كتابنا[٣٠]: أن رجلاً من وُلد محمدٍ رسول الله صلى الله عليه وآله يُقتَل، ولا يجفُّ عَرَقُ دوابِّ أصحابِهِ حتَّى يدخلوا الجنَّة، فيعانقوا الحور العِين.

فمَرَّ بنا الحسن عليه السلام، فقلنا: هو هذا؟ قال: لا.

فمَرَّ بنا الحسين عليه السلام، فقلنا: هو هذا؟ قال: نعم[٣١].

وروى النُّعماني رحمه الله بإسناده، عن عبد الله بن ضمرة، عن كعب الأحبار أنه قال: إذا كان يوم القيامة حُشِرَ الخَلْق على أربعة أصناف: صنف رُكبان، وصنفٌ على أقدامهم يمشون، وصنفٌ مكبون، وصنفٌ على وجوههم، صم بكم عمي فهم لا يعقلون، ولا يكلمون، ولا يؤذن لهم فيعتذرون، أولئك الذين تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون.

فقيل له: يا كعب، من هؤلاء الذين يحشرون على وجوههم وهذه الحال حالهم؟

فقال كعب: أولئك كانوا على الضلال والارتداد والنكث، فبئس ما قدمت لهم أنفسهم إذا لقوا الله بحرب خليفتهم، ووصي نبيهم، وعالمهم، وسيدهم، وفاضلهم، وحامل اللواء، وولي الحوض، والمرتجى والرجا دون هذا العالَم، وهو العلم الذي لا يجهل، والمحجة التي من زال عنها عطب وفي النار هوى، ذاك عليٌّ وربِّ كعب.

أعلمهم علماً، وأقدمهم سلماً، وأوفرهم حلماً، عَجِبَ كعبٌ ممَّن قَدَّم على عليٍّ غيرَهُ.

ومن نسل عليٍّ القائمُ المهديُّ، الذي يبدِّل الأرض غير الأرض، وبه يحتج عيسى بن مريم عليه السلام على نصارى الروم والصين.

إنَّ القائمَ المهدي من نسل علي، أشبه الناس بعيسى بن مريم خلقاً وخُلقاً وسمتاً وهيبة، يعطيه الله عز وجل ما أعطى الأنبياء ويزيده ويفضله.

إنَّ القائم من ولد علي عليه السلام له غيبة كغيبة يوسف، ورجعة كرجعة عيسى بن مريم، ثم يظهر بعد غيبته مع طلوع النجم الأحمر، وخراب الزوراء، وهي الري، وخسف المزورة وهي بغداد، وخروج السفياني، وحرب ولد العباس مع فتيان أرمينية وأذربيجان، تلك حرب يقتل فيها ألوف وألوف، كل يقبض على سيف محلى، تخفق عليه رايات سود، تلك حرب يشوبها الموت الأحمر والطاعون الأغبر(٣٢).

وروى ابن عياش الجوهري رحمه الله من حديث طويل، إلى أن قال: قال جابر: فلمّا انصرف سالم من الكعبة تَبِعتُه، فقلت: يا أبا عمرو! أنشدك الله هل أخبرك أحد غير أبيك بهذه الأسماء؟

قال: اللهمَّ أمَّا الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله فلا، ولكني كنت مع أبي عند كعب الأحبار، فسمعته يقول: إن الأئمة من هذه الأمة بعد نبيها على عدد نقباء بني إسرائيل،

وأقبل علي بن أبي طالب عليه السلام، فقال كعب: هذا المقفّي أولهم وأحد عشر من ولده.. الحديث(٣٣).

وروى المفيد (رضوانُ الله عليه) بإسناده، عن ابن أبي ليلى، عن عطية، عن كعب الأحبار قال: مكتوب في التوراة: من صنع معروفا إلى أحمق فهي خطيئة تكتب عليه(٣٤).

وروى ابن شهر آشوب (رضوانُ الله عليه) مرفوعاً، عن كعب الأحبار، انه سألَ عبدُ الله بن سلام قبل أن يُسلم: يا محمد! ما اسم علي فيكم؟

قال: عندنا الصديق الأكبر.

فقال عبد الله: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، إنَّا لنجد في التوراة: محمدٌ نبيُّ الرحمة، وعليٌّ مقيمُ الحُجَّة(٣٥).

وروى في كتاب الروضة، مرفوعاً إلى كعب الأحبار، قال: قضى علي بن أبي طالب عليه السلام قضية في زمن عمر بن الخطاب.

قال: إنه اجتاز عبدٌ مقيَّدٌ على جماعة، فقال أحدُهُم: إذا لم يكن في قيدِهِ كذا وكذا، فامرأتي طالقٌ ثلاثاً ـ يعنون أنفسهم ـ فقال الآخر: إن كان فيه كما قلتَ فامرأتي طالق ثلاثا.

قال: فقاما مع العبد إلى مولاه، فقالا له: إننا حلفنا بطلاق نسائنا ثلاثا على قيد هذا العبد، فَحلَّهُ حتى نوزنَهُ، فقال سيِّدُهُ: امرأتي طالقٌ ثلاثاً، إن حُلَّ قيدُهُ. فطلَّقَ الثَّلاثةُ نساءهم.

قال: فارتفعوا إلى عمر بن الخطاب، فقصُّوا عليه القصَّة، فقال: مولاه أحقُّ به، فاعتزلوا نساءَكم.

قال: فخرجوا وقد وقعوا في الحيرة! فقال بعضهم لبعض: اذهبوا بنا إلى أبي الحسن عليه السلام عسى أن يكون معه شيءٌ في هذا، فأتوه وقصُّوا عليه القصَّة.



فقال عليه السلام: ما أهون هذا!

ثمَّ إنَّه عليه السلام أحضر جفنة، وأمر العبد أن يحطَّ رِجْلَه في الجفنة، وأن يُصَبَّ الماءُ عليها، حتى امتلأت الجفنة ماءً، فقال: ارفعوا القيد والرِّجلُ مكانَها، فرُفِعَ قيدُهُ عن الماء، فأرسل عِوَضَهُ زُبُراً من الحديد في الماء، إلى أن صعد الماء إلى موضع ما كان فيه القيد.

ثم قال: أَخرِجوا هذا الحديد، وزنوه فإنه وزن قيد العبد.

قال فلما فعلوا ذلك وانفصلوا وحلَّت نساؤهم عليهم، خرجوا، وهم يقولون: نشهد أنك عَيْبَةُ علم النبوة، وباب مدينة علمه، فعلى من جحد حقك لعنة الله والملائكة والناس أجمعين(٣٦).

المحور الخامس: دعوى الدسّ.. في الميزان:

إنَّ اتهامَ كعب الأحبار بدسِّه الروايات النصرانية واليهودية والمجوسية في كتبنا لا يمكنُ تصوُّرها إلا في حالةٍ من ثلاثِ حالات:

الحالة الأولى: أن يكون حالُهُ خافياً عنَّا، فيتمكَّن من دسِّ ما يريدُ دسَّهُ من حيث لا نشعر!!

وانتفاء هذه الحالة أجلى من الشمس في رابعة النهار، إذ قد ثبت لك بما لا مزيد عليه من كون كعب الأحبار عندنا مذموماً بأقذع الذم، مطعوناً في دينه وحديثه على لسان المعصومين عليهم السلام وغيرهم.

الحالة الثانية: أن يكونَ مفضوحَ الحال عندنا، ولكنَّ رواياتِهِ وصلتنا بأسانيد وهميَّة مزيَّفة لا وجود فيها لكعب الأحبار، فدخلت في تراثنا من حيث لا ندري!!

ولا أظنُّ صاحب ذرَّةٍ من عقلٍ يدَّعي مثل هذه الدعوى التي لا يُقرُّها العقلُ ولا يرتضيها العقلاء!!

إذ يكفي لنفي كونها رجماً بالغيب، لا تتجاوز صقع الادِّعاء بلا دليل.

ولو فتحنا الباب لمثل هذه السفاسف لما بقي لأيِّ حديثٍ ـ سواءٌ عندنا أو عند غيرِنا ـ وزنٌ ولا اعتبارٌ، إلا ما ثبتَ بالتواتر، وهو نسبةٌ لغيره كالنادر!!

فكيفَ والحالُ أنَّ التراث الرِّوائي عند الشِّيعةِ الإماميَّةِ قد مرَّ بأدقِّ مراحل التحقيق والتَّوثيق، على ضوء القواعد والضوابط التي وضعها أهل بيت العصمة والطهارة، بل تمت تحت إشرافهم (صلواتُ اللهِ عليهم) كما ستقف عليه؟!

الشِّيعةُ روَّادُ التحقيق في التُّراث الرِّوائي:

ولكي لا نظلمَ المطلبَ حقَّهُ، مع مراعاتنا لبناء مقالتنا على الاختصار والابتعاد عن الاستطراد قدر الإمكان نمرُّ بشكلٍ سريعٍ على منهجيَّة التحقيق في التُّراث الرِّوائي عند الشِّيعة الإمامية أعلى الله كلمتَهم.

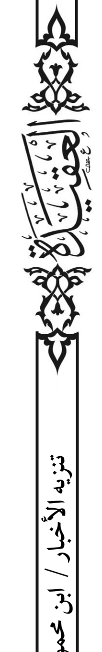
عرضُ الرِّوايات على المعصومِ عليه السلام:

إذا استقرأنا عمليَّات تصفية الحديث وتنقيته وتهذيبه، وجدناها جهوداً جبَّارةً، رُوعِيَت فيها أعلى درجات الدقَّة في التَّثبُّت والتحقيق، بدأت منذ زمن الإمامين الصَّادقَين (صلواتُ الله عليهما)، حيثُ كانوا يعرضون عليهما بعض المسموعات من الروايات المنسوبةِ إلى النبيِّ صلى الله عليه وآله وغيره، فيحكمان فيها تصديقاً او تكذيباً[٣٧].

واستمرَّ عرضُ الرِّوايات على المعصومينَ إلى زمن الغيبة الصُّغرى، ولا يسعنا استيفاء المطلب في هذا المختصر، فليُطلب من مظانِّه.

عرْضُ الكُتُب على المعصوم عليه السلام:

ثمَّ رأينا كيف إنَّ الأجلَّاء من الرواة يعرضون كتبَهم الحديثيَّة ـ مضافاً لِعَرض الروايات ـ على إمام زمانهم عليه السلام، أو يعرضها من يأتي بعدَهم على إمام زمانه عليه السلام،



فهذا المحدِّثُ الفقيه يونس بن عبد الرحمن يقول: (**وافيتُ العراق، فوجدتُّ بها قطعةً من أصحاب أبي جعفر** عليه السلام**، ووجدتُّ أصحابَ أبي عبد الله** عليه السلام **متوافرين، فسمعتُ منهم، وأخذت كتبُهم، فعرضتُها من بعدُ على أبي الحسن الرضا** عليه السلام..الخبر[٣٨].

وهذا عُبَيدُ الله الحلبي الذي صنَّف كتاباً جمع فيه ما جمع من أحاديثهم عليهم السلام ثمَّ عرضَهُ على الإمام الصادق عليه السلام فصحَّحه له[٣٩].

وكتاب يوم وليلة للفضل بن شاذان، الذي عُرِض على الإمام الحسن بن علي العسكري (عليهما السلام)، فلمَّا نَظَرَ فيه، وتصفَّحَهُ ورقةً ورقةً، قال: **"هذا صحيحٌ ينبغي أنْ يُعْمَلَ بِهِ"**[٤٠]. إلى غيرها من الكتب الكثيرة التي عُرِضت عليهم (صلواتُ الله عليهم).

الأصول الأربعمائة ثمرةُ التصفية والتحقيق:

وقد أسفرت عمليَّاتُ التحقيق والتوثيق المذكورة عن ظهور أربعمائة أصلٍ في حديث النبيِّ وآله صلى الله عليه وآله، متَّصلةِ الأسانيد بأهل بيت العصمة والطهارة، حتى صار مدارُ العمل عليها، ومرجع الطَّائفة إليها، وبلغت من الشُّهرة مبلغاً نافسَ الشمسَ في ضيائها والنُّجومَ في سنائها.

تدوين المجاميع الحديثية:

ثمَّ انبثَقَت من تلك الأصول الأربعمائة مجاميعُ وكتبٌ حديثية، رُوعيَ فيها تبويبُ الروايات وفهرستها، ولم تخلُ من مزيد تنقيةٍ وتصفيةٍ، فكانت الكتب الأربعة الشريفة التي استقرَّ عملُ الطائفة عليها لاحقاً: الكافي للشيخ الكليني، ومن لا يحضرُهُ الفقيه للشيخ الصدوق، وتهذيبُ الأحكام، والاستبصار، كلاهما لشيخ الطَّائفة الطوسي (رضوانُ الله عليهم أجمعين).

مضافاً إلى كتُبِ المشيخة وغيرها من الكتب الجليلة النفيسة التي ألَّف علماؤنا في تعدادها وتراجمها المؤلَّفات.

وخذ مثالاً لذلك قولُ الآغا بزرك الطهراني رحمه الله يقول في كتاب مصفّى المقال في مصنّفي علم الرجال: (**كان في مكتبة السيّد ابن طاووس مائة ونيِّف من مصنّفات الإماميَّة من كتب الفهارس والرِّجال فقط**).

فهذا عرضٌ موجزٌ لسير عمليَّات التنقية والتصفية في التُّراث الرِّوائي الشِّيعي يمنحُ أصحابَهُ أسمى أوسمة التجليل والتبجيل، إذ سبقوا سائرَ المسلمين في مضمار التحقيق والتدقيق بما لا شبيه له ولا مثيل.

الثالثة: أن نروي عنه ما نظنُّ صدورَهُ لسلامة متنِهِ، وهو في الواقع من المدسوسات المكذوبات!!

ومرويَّاته الموجودة في كتبنا تنفي هذه الحالة، بل الواقع مباينٌ لها، كما عاينتَ مما عرضنا من مرويَّاته.

وقد بينَّا أنَّها ـ على نُدرَتها وعاميَّةِ طُرُقِها ـ إمَّا مُلزِمةٌ للخصمِ بحقَّانيَّة مذهبنا، وإمَّا مقبولة المضمون لموافقته لما ثبتَ من طُرُقنا.

وإذ انتفت الحالات الثلاث كما هو واضحٌ بيِّن، انتفت الدعوى بالضرورة، وبان جهلُ مدَّعيه، هذا إذا كان جاهلاً!!

تبصرة درائيَّة:

ثمَّ لو أمكن الإغماضُ عن كلِّ ما أسلفناه، رغمَ محاكاته للشمس في ضيائها، وللنجوم في سنائها، فهناك محذورٌ درائيٌّ يَجعلُ دعوى دسِّ كعب الأحبار كثيراً من إسرائيليَّاته في تراثنا الرِّوائيِّ دعوىً مستحيلةَ الوقوع، مضحكةً للثكلى!! فيكون القبولُ بها مخالفاً للعقل والعقلاء.



إذ إنَّ الشيعةَ لا يرون الحجيَّةَ لغير من ثبتت عصمتُهُ، وهذا معروفٌ من سيرتهم التي لا تخفى على أحدٍ من المسلمين، ومن ثم فإنَّ دعوى دسِّ كعب الأحبار للأخبار في تراثنا الرِّوائيِّ لا تتأتَّى إلا بعد إثبات رواياتِهِ عن أحد المعصومين (صلواتُ اللهِ عليهم أجمعين).

والحال أنَّ كعباً لم يروِ عن أحدٍ من المعصومين ولو روايةً واحدةً، فضلاً عن فريةِ الإكثارِ من الرِّواية، فيا لله ثم يا للدين!! كيف يسوِّغُ المرءُ لنفسه مثلَ هذا البهتان والافتراء وهو يعدُّ نفسَهُ من العلماء؟!

وهذا الوجهُ وحدُهُ كافٍ لإسقاط دعوى الدسِّ إلى الحضيض، وتعريةِ صاحبِها من المعرفةِ، بل إثباتِ كذبِهِ وافترائه.

نهايةُ التفنيد:

ثمَّ لو أراد صاحب الادِّعاء المبالغة في الافتراء، وادَّعى وجود رواياتٍ لكعب الأحبار رواها عن بعض المعصومين عليهم السلام، فلن يزيدَهُ ادِّعاؤهُ إلا ضلالاً وخساراً.

إذ إنَّ جُلَّ مرويَّاتنا إنَّما رويناها عن الصادِقَيْن ومن بعدهما من الأئمة المعصومين (صلواتُ الله عليهم أجمعين)، وذلك بسبب منع تدوين الحديث على يد عمر بن الخطاب، والذي دام إلى زمن عمر بن عبد العزيز، حيث قام بتشكيل لجنةٍ أمويَّةٍ لتقومَ بتدوين الحديث، مستبعداً مهابط الوحي والتنزيل الباقر والصادق (صلوات الله عليهما)(٤١)!! وزال المنع بعد ذلك.

ممَّا يعني أن تصوُّرَ كثرة الدسِّ المزعوم غيرُ ممكن في نفسِهِ فضلاً عن التَّصديق به، بل هو مما يضحكُ الثَّكلى، فأين زمن كعب الأحبار من زمن الإمامين الصادقين (عليهما السلام)؟!

تفصيل بعد إجمال:

أجمعَ المؤرِّخون على أنَّ كعبَ الأحبار لم يلقَ رسولَ الله صلى الله عليه وآله، وانَّه هلكَ في زمن حكومة عثمان بن عفَّان، ممَّا يعني أنَّهُ أدركَ ثلاثةً من المعصومين، وهم: أميرُ المؤمنين عليُّ بن أبي طالب، وابناه الحسنُ المجتبى والحسينُ الشهيدُ (صلواتُ اللهِ عليهم أجمعين).

وتراثُنا الرِّوائيُّ ـ كما أسلفنا ـ جلُّهُ عن الإمامين الصادقين ومن بعدهما من الأئمة المعصومين عليهم السلام، وتحقيقُ ذلك يخرجنا عن موضوع بحثنا، لكن ما لا يُدركُ كلُّهُ لا يُتركُ كلُّه، فلنأخذ الكتُبَ الأربعةَ ـ التي تمثِّلُ أصولَ تراثنا الرِّوائي ـ مثالاً، وعليه يكون القياس.

لقد بلَغَ عددُ الروايات المودَعَةِ في الكتُبِ الأربعة الشَّريفة ـ الكافي والفقيه والتهذيب والاستبصار ـ على ما ذكره محقِّق مستدرك الوسائل: ٤١٢٥٤ حديثاً[٤٢].

والمرويُّ منها عن أمير المؤمنين عليه السلام ٦٩٠ حديثاً، وعن الإمام الحسن المجتبى عليه السلام ٢١ حديثاً، وعن الإمام الحسين عليه السلام سبعةُ أحاديث ومجموعها: ٧١٨ حديثاً؛ ونسبة هذه الأحاديث إلى مجموع أحاديث الكتب الأربعة لا يبلغ اثنين في المائة، ومع ذلك ليس فيها عن كعب الأحبار ولو حديثٌ واحد!!

والحالُ أنَّهُ لو كان بعض هذه الأحاديث ـ الـ ٧١٨ حديثاً ـ مرويَّاً عن كعب الأحبار فسيكون بمنزلةِ العدم نسبةً لأحاديث الكتب الأربعة.

بل حتَّى لو كانت كلُّها عنه فلن تبلغَ نسبتُها اثنين في المائة!! لتعرفَ أن دعوى كثرة دسِّهِ في تراثنا هي كذبةُ القرن الواحد والعشرين بل أفظع أكاذيبه!!

الخاتمة

أرجو أن تكون هذه المقالة ـ على إيجازها ـ قد أثبتت أنَّ كعب الأحبار اليهودي ـ وإنْ كان قد أكثر من دسِّ إسرائيليَّاته في كتب المخالفين باعترافهم وإقرارهم ـ لم يكنْ بمقدوره الدسُّ في تراث الشيعة الرِّوائي، وذلك لافتضاح حاله ومقاله من جهة، وبسبب الأسس والضوابط التي وضعها أهل البيت (عليهم السلام) ـ وعمِل بها تلامذتهم ـ لكيفيَّة تحمُّل الحديث وشروط الأخذ به، وسُبُل تنقيته وتصفيته.

وأنَّ دعوى الدسِّ في تراثنا الرِّوائي على يد كعب الأحبار أقلُّ ما توصفُ به أنَّها جنايةٌ ظالمة، تُضاف إلى سجلِّ الظلامات التي وقعت على أهل البيت (عليهم السلام) وشيعتهم. عصمنا الله وإياكم من اتباع الهوى، ومجانبة سبيل الهدى، وجعلنا من المستمسكين بحبل الله المتين، كتابه والعترة المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين.

وكان الفراغُ من تحريرها عصر الخميس التاسع والعشرين من شهر رجب، من سنة ١٤٣٥ هجرية، في النجف الأشرف، بجوار أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فلله الحمد وله الشكر على ما أفضل وأولى، وصلى الله على نبيه محمد وآله الطاهرين.

* هوامش البحث *

(١) تاريخ مدينة دمشق ج٥٠ ص١٥٣.

(٢) لم يكن صدور مثل هذه التهمة الكاذبة من صاحبها متوقَّعاً، فلقد كان يقدِّمُ برنامجاً حواريَّاً دفاعاً عن قواعد المذهب الحق، وإذا به يتحوَّلُ من صاحب دليل وبرهان إلى صاحب ادِّعاء وبهتان، رزقنا الله حسنَ العاقبة.

(٣) العدة في أصول الفقه: ج١/ ص١٢٦.

(٤) كما ستقفُ على ذلك في طيَّات هذا البحث.

(٥) وهذا جليٌّ واضحٌ لمن قرأ سيرة كعب، وكيفية انتقاله من اليهوديَّة إلى الإسلام ظاهراً، وسرعة تصدِّيه للافتاء والكلام بمسائل الدين، واهتمام عمر وعثمان باحتوائه، ومصادر العامَّة حافلةٌ بأخباره، فليراجع تاريخ ابن عساكر ج٥٠ ص١٥١ ـ ١٧٦، وغيره من مصادرهم.

(٦) راجع: عدة الأصول للشيخ الطوسي (رضوانُ الله عليه): ١ / ٣٨١ .
(٧) اختيار معرفة الرجال للكشي (رضوانُ الله علَيه) ج٢ ص٥٧٥، فلقد أورد هناك مجموعة روايات في بيان ما كان منه وجاء فيه.
(٨) التناسخ: هو ما يُصطلحُ عليه اليومَ بالتقمُّص، وهو عقيدة القائلين بتناسخ الأرواح في الأجساد، والانتقال من شخص إلى شخص، وما يلقى الإنسانُ من الرَّاحةِ والتَّعب والدَّعَةِ والنَّصَب فمُرَتَّبٌ على ما أسلفَهُ من قبل، وهو في بدنٍ آخر، جزاءً على ذلك.
ولمزيد تفصيلٍ راجع: المِلَل والنِّحل للشَّهرستاني ج١ ص٢٥٣.
وهو باطلٌ بالإجماعِ عندنا، قال صدوقُ الطَّائفة رضي الله عنه: [والقول بالتناسخ باطل، ومَنْ دانَ بالتَّناسخ فهو كافر، لأنَّ في التَّناسخ إبطالَ الجنَّة والنار]. الاعتقادات في دين الإماميَّة ٦٤.
أقول: وإبطالُ الجنَّة والنَّار إبطالٌ لجميع الأديان السماوية والشرائع الإلهية كما لا يخفى.
وقد أبطلَ الإمامُ الصادقُ عليه السلام عقيدةَ التناسخِ بكلماتٍ ثلاث، لَمَّا سُئلَ عن التناسخ، فقال: "**فَمَنْ نَسَخَ الأَوَّلَ؟**". انظر: اختيار معرفة الرجال للكشي ص١٨.
(٩) انظر تفصيلَ حالهم في الملل والنحل للشهرستاني ج١ ص١٧٩.
(١٠) ذَكَر ذلك النَّمازي رحمه الله في مستدركات علم رجال الحديث ج٧ ص٣٣٧.
(١١) شرح نهج البلاغة ٤/ ٧٧.
(١٢) تفسير مجمع البيان ٨/ ٣٥٩.
(١٣) من لا يحضره الفقيه ١/ ٢٠٢.
(١٤) مفردات غريب القرآن ٣٣٥.
(١٥) الكافي ٤/ ٢٤٠.
(١٦) علل الشرائع للصدوق ج١ ص١٧٦، وكفاية الأثر للخزَّاز القمي ص٧١؛ وغيرهما..
ومن مصادر العامة: المستدرك على الصَّحيحين ج٣ ص٣٤٢، ومسند أحمد ج٢ ص١٦٣ وج٥ ص١٩٧ وج٦ ص٤٤٢، وغيرها.
فائدة: في العلَّةِ التي من أجلها قال النبيُّ صلى الله عليه وآله هذه المقولة في حقِّ أبي ذر، فلقد روى الشيخ الصدوق (رضوانُ الله عليه) في علل الشرائع ج١ ص١٧٦، قال: حدثنا أبو الحسن محمد بن عمرو بن علي البصريَ، قال: حدثنا عبد السلام بن محمد بن هارون الهاشمي، قال: حدثنا محمد بن محمد عقبة الشيباني، قال: حدثنا أبو القاسم الخضر بن أبان، عن أبي هدبة، عن أنس بن مالك، قال: أتى أبو ذر يوماً إلى مسجد رسول صلى الله عليه وآله فقال: ما رأيتُ كما رأيتُ البارحة! قالوا : وما رأيت البارحة؟ قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله ببابه، فخرج ليلاً، فأخذ بيَد علي بن أبي طالب، وقد خرجا إلى البقيع، فما زِلت أقفوا أثَرَهما إلى أن أتيا مقابرَ مكَّة.
فَعَدَل إلى قبر أبيه، فصَلَّى عنده ركعتين، فإذا بالقبر قد انشقَّ، وإذا بعبد الله جالسٌ، وهو يقول:

"أشهدُ أن لا إله إلا الله، وأنَّ محمَّداً عبدُهُ ورسولُهُ".

فقال له: **"من وليُّك يا أبة"**؟ فقال: **"وما الوليُّ يا بُنَي"**؟ قال: **"هو هذا علي"**.

قال: **"وأنَّ عليّاً وليي"**. قال: **"فارجع إلى روضتك"**، ثم عَدَلَ إلى قبر أمِّهِ، فصنع كما صنع عند قبر أبيه، فإذا بالقبر قد انشقَّ، فإذا هي تقول: **"أشهدُ أن لا إله إلا الله، وأنَّك نبيُّ الله ورسولُهُ"**. فقال لها: **"من وليُّكِ يا أمّاه"**؟ فقالت: **"ومن الوليُّ يا بُنَيَّ"**؟ فقال: **"هو هذا علي بن أبي طالب"**. فقالت: **"وأنَّ عليّاً وليِّي"**. فقال: **"ارجعي إلى حفرتك وروضتك"**.

فكذَّبوه ولبَّبوه، وقالوا: يا رسول الله! كذب عليك اليومَ!!

فقال: **"وما كان من ذلك"**؟

قال: إنَّ جُندبَ حَكَى عنكَ كَيتَ وكَيت.

فقال النبي صلى الله عليه وآله: **"ما أظلَّت الخضراء، ولا أقلَّت الغبراء على ذي لَهجةٍ أصدق من أبي ذر"**.

قال عبد السلام بن محمد: فعرضت هذا الخبر على الهجني محمد بن عبد الأعلى، فقال: أما علمتَ أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وآله قال: **"أتاني جبرئيل فقال: إنَّ الله عزَّ وجلَّ حرَّمَ النَّارَ على ظَهْرٍ أنزلك، وبطْنٍ حملَكَ، وثديٍ أرضَعَك، وحِجْرٍ كفِلَكَ"**؟

(١٧) انظر: أمالي المفيد ص١٦٤، والمسترشد للطبري ص١٧٧، ومروج الذهب ٢/ ٣٤٠وغيرهم.

(١٨) الغدير ج٨ ص٣٥٣.

(١٩) تاريخ الطبري ج١ ص٤٤.

(٢٠) الإصابة ج٥ ص٤٨٤.

(٢١) سورة فاطر ٤١.

(٢٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج١٤ ص٣٥٧؛ وراجع: الكشف والبيان للثعلبي ج٨ ص١١٥، ورواهُ الطبري بإسنادٍ صحيحٍ ـ كما نصَّ على ذلك الزيعلي في تخريج الأحاديث والآثار ج٣ ص١٥٧ـ لكن أسقطَ منه [ما ترك يهوديَّته]!! جامع البيان ج٢٢ ص١٧٣.

(٢٣) كمال الدين وتمام والنعمة ٥٣١.

(٢٤) المسترشد ١٧٧.

(٢٥) راجع تفصيل ترجمته (رضوانُ الله عليه) في مقدمة كتاب: التعجُّب، تحقيق الشيخ فارس حسون رحمه الله.

(٢٦) مجمع الزوائد للهيثمي: ٨/ ٨٦، وأفادَ في ذيله بأن الحديثَ صحَّحَهُ ابن حبَّان.

(٢٧) التعجُّب من أغلاط العامة ص١٥٣.

(٢٨) الحديقة الهلاليَّة ص٥٠.

(٢٩) كالشيخ محمد بن إسماعيل المازندراني في: منتهى المقال في احوال الرجال ج٥ ص٢٥٥، والسيد علي البروجردي في: طرائف المقال ج٢ ص١٠٥،والشيخ محمد تقي التستري في:

قاموس الرجال ج١٢ ص١٤٣.

(٣٠) ولعلَّها زلَّةُ لسانٍ من كعب!! لأنَّ المراد من كتابهم كتاب اليهود، فإنْ كان قد أسلم كما يزعُمُ ويزعُمون فما معنى نسبة كتاب اليهود إليه بضمير جمع المتكلم؟!!

(٣١) الأمالي للصدوق ص٢٠٤.

(٣٢) كتاب الغَيبة للنعماني ص١٤٩.

(٣٣) مقتضب الأثر ص٢٨.

(٣٤) الأمالي للمفيد ١٣٧.

(٣٥) مناقب آل أبي طالب ج٢ ص٢٨٦.

(٣٦) الروضة في الفضائل ص٢١٥.

(٣٧) ومن تتبَّع روايات الكتب الأربعة فضلاً عن غيرها وجد فيها كثيراً كثيراً من تلك الرِّوايات التي تم عرضها على الأئمة (صلواتُ الله عليهم).

(٣٨) اختيار معرفة الرجال للكشي ج٢ ص٤٩٠ ح٤٠١.

(٣٩) فهرست النجاشي ص٢٣١ رقم٦١٢.

(٤٠) اختيار معرفة الرجال ج٢ ص٨١٨.

(٤١) روى الدارمي في سننه ج١ ص١٢٦ بإسناده، عن عبد الله بن دينار، قال: كتب عمر بن عبد العزيز إلى أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم: أنْ اكتب إليَّ بما ثبتَ عندكَ من الحديث، عن رسول الله (صلى الله عليه [وآله] وسلَّم) وبحديث عُمَر، فإنِّي قد خشيتُ دَرسَ العلم وذهابَهُ.

وروى ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله ج١ ص٧٦، بإسناده عن سعيد بن زياد، قال: سمعت ابن شهاب يحدِّثُ سعدَ بنَ إبراهيم: أَمَرَنا عمرُ بنُ عبد العزيز بجمع السُّنَن، فكتبناها دفتراً دفتراً، فبعث إلى كل أرض له عليها سلطانٌ دفتراً.

أقول: فأنت ترى أنَّ عمر بن عبد العزيز أغفل وجود أهم مصادر الحديث النبويِّ، وهو الإمامان المشهور لهما بالفضل والكمالات عند المخالف فضلاً عن المؤالف!!

ولجأَ إلى علماء البلاط الأموي، فبدأ بأبي بكر بن حزم، ثم من بعد سلَّم المهمة إلى ابن شهاب الزهري!! والفتى سرُّ أبيه.

(٤٢) مستدرك الوسائل للمحدِّث النوري الطبرسي ج١ ص٢٨ مقدمة التحقيق.

